بسم الله الرحمن الرحيم

- العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الله في خلقه، بهم يحفظ الله الملة، فهم منارات الأمة، وينصر الشريعة، وهم أغيظ خلق الله لشياطين الإنس والجن.

- وهم في الأرض كالنجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، لأنهم ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

- بهم يعرف الحلال من الحرام، ويتميز الحق من الباطل، يذكّرون الغافل، ويعلمون الجاهل، ويردون على أعداء الإسلام، لهذا رفع الله ذكرهم وأعلى منزلتهم فقال:{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة: ١١].

-فحياة العلماء غنيمة وموتهم مصيبة! فبموته يفشو الجهل ويذهب العلم، ويظهر الشر والنفاق، وتصبح الأمة كالجسد بلا روح وكالمركب بلا شراع، فأمة بلا علماء كجيش بلا قائد، وكمقاتل بلا سلاح.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (خراب الأرض بموت علمائها وفقهائِها وأهلِ الخير فيها)...قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)).

-فالعلماء هم القوم لا يشقى بهم جليس، حبهم دين وطاعة، والقرب من مجلسهم خير وعبادة، وإيذائهم والطعن فيهم ومحاربتهم طعن في الشريعة وأذية لأولياء الله الصالحين.

وقد قرن سبحانه وتعالى طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء: ٥٩] والمقصود بأولي الأمر هنا هم العلماء.

وأمر الله جل وعلا بالرجوع إلى أهل العلم فيما يشكل على الناس من أمور الدين ومسائله فقال:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧] وقال: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}[النساء: ٨٣].

-والعالم الرباني هو العالم الذي يتمسك بكتاب الله تعالى ويهتدي بنوره، وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

يبلغ رسالة الله لا يخشى إلا الله، يقول كلمة الحق لا يخشى لومة لائم، يعلم الناس ويتحمل التعب والنصب والمشقة.

- العالم الرباني هو الذي يحيط بالناس ويقترب منهم بكل أدب وتواضع فينتفعون بعلمه ويجتمعون حوله ويرجعون إليه في قضاياهم وشكاويهم ويسعى في قضاء حاجاتهم وفض نزاعاتهم والإصلاح بينهم ويصبر على التعامل معهم ويسمع منهم ويجلس بينهم فلا يترفع عليهم ولا ينزوي في زاوية بعيدا عنهم، فتحدث الفجوة بينه وبينهم....يقول عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قلت لأبي: يا أبتي أي رجل كان الشافعي فإني أسمعك كثيراً ما تدعوا له؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، والعافية للبدن، فهل لهذين من خَلَفٍ؟ أو عنهما من عِوض؟

*موت العلماء رزية على الأمة بأسرها، وموتهم حث لنا على طلب العلم ومواصلة الدرب في طلب العلم حتى نسد الثغرة التي كانوا يسدونها وحتى يوجد في الأمة من يقوم مقامهم ويغطي الفراغ الذي تركوه...

قال ابن المبارك: (إني أرى أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة، وظهور البدع).

ومما يحز بالقلب أنه بموت الداعية ممن له مقام مشكور وإنتاج علمي وصلاح ظاهر ولعله يكون منتميا لاتجاه عقدي أو فكري تخالفه، أو يكون محل نقد أو إشكال عندك، فترى الناس منهم أصناف:

١- أهل توسط واعتدال يرون المقام مقام ترحم ودعاء بالمغفرة وثناء منضبط وذكر لما قدمه الراحل للعلم من خدمات مشكورة دون أن يعني ذلك بحال القبول التام لكل ما عنده من أراء أو الموافقة في الوجهة.

٢-وطائفة تضن بالرحمة والدعاء وترى المقام مقام جرح وتعديل وتحذير وتهويل وبيان للأخطاء وإظهار للمخالفات مع شطط وغلو وكتمان تام للحسنات والمواقف وإبراز للأخطاء بحق أو باطل.

٣-وأخرى تترحم وتستغفر وتمدح وتبالغ في الثناء، وتغالي مغالاة لا ترض الله تعالى...فنسال الله الاعتدال والتوسط وإنزال أهل العلم منازلهم دون مغالاة أو مجافاة.

وقد أصيبت الأمة قبل أيام بمصيبة عظيمة نسأل الله أن يجبر مصابها بوفاة العالم والداعية والمحدث الشيخ أبي إسحاق الحويني الذي عاش حياته منافحا عن نبينا واسمعوا له إن شئتم سلسة(واعلموا أن فيكم

رسول الله) لترو وتسمعوا كمية الحب للرسول الكريم التي يكنها بصدره ويبثها لشباب الأمة(٢٠٠٥)، ودفاعه عن الصحابة الكرام أبي هريرة وخالد بن الوليد واسمعوا إن شئتم(دروس وعبر من مقتل عمر) وهو يدافع دفاع الأسد عن عرينه ويذب كذب الروافض على صحابة الرسول الكريم، وسمعوا له(البدعة وأثرها السيء في تأسيس محنة المسلمين) تعرف معاني السنة والبدعة ومحبة الصحابة، اسمع له(أنت الجماعة ولو كنت وحدك) وهو يخاطب شباب الأمة والمسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهو يحرض الأمة على الموت وهي تخدم هذا الدين ويبث فيهم روح الأمل والثقة بالله، اسمع (اخلع نياشينك) لترى العالم المربي يبكي وهو يؤسس في طلاب العلم التواضع وعدم الاغترار بكلام الناس، وهو صاحب مشروع حرس الحدود، كما لكل دولة لها جنود يحرسوا حدودها كذلك هذا الدين يحتاج لمن يحرسه وينافح عنه ويذب عنه، إن لم تكن أنت فليكن ولدك فإن كان لكل واحد منا عدداً من الأبناء فهل فكر أن يجعل أحدهم عالماً يخدم الدين ويتفرغ لطلب العلم الشرعي، لينال ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))..أما فكر بهم أطباء ومهندسين.

اللهم اغفر لمن مات من علمائنا وأسكنهم فسيح جناتك واجزهم يا رب عنا خيراً، وبارك ربنا فيمن بقي، واحفظهم بحفظك واكلأهم برعايتك.....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين